مجلـــــة العلـــــوم التربـــــوية والدراســـات الإنســـانيـــة
ISSN: 2709-0302 (online)

Humanities and Educational Sciences Journal
ISSN: 2617-5908 (print)

عوامل النهوض الحضاري دراسة سننية في ضوء القرآن الكريم(*)

د/ فرحان خالد مقبل ناجي
أستاذ التفسير المساعد بكلية الشريعة وأصول الدين
جامعة الملك خالد أبها، وكلية التربية- جامعة صنعاء
farhan-1213@hotmail.com

*) تاريخ تسلم البحث ٢٠٢٠/٧/١٦م تاريخ قبوله للنشر ٢٠٢٠/٨/١١م.
*) موقع المجلة: http://hesj.org/ojs/index.php/hesj/index

عوامل النهوض الحضاري دراسة سننية في ضوء القرآن الكريم

د/ فرحان خالد مقبل ناجي
أستاذ التفسير المساعد بكلية الشريعة وأصول الدين
جامعة الملك خالد أبها، وكلية التربية ـ جامعة صنعاء

ملخص البحث:
يهدف البحث إلى توضيح الصورة الحضارية للإسلام من خلال بيان عوامل النهوض الحضاري في القرآن الكريم والسنن التي أرشد إليها القرآن في تحقيق ذلك، وعليه فقد كان عنوان البحث **"عوامل النهوض الحضاري دراسة سننية في ضوء القرآن الكريم"**، ويهدف إيضاً إلى لفت أنظار المسلمين خاصة والناس عامة إلى القرآن الكريم وآياته الكريمات، وسننه الثابتة في الرقي والتحضر والتغيير، والأخذ بالأسباب الفاعلة إلى تحقيقها في الواقع، وهي محاولة من البحث والباحث في الاسهام المباشر في انتهاج مسالك النهوض كما أرشد إليها القرآن الكريم.
وقد جاء البحث في **مقدمة وتمهيد وأربعة مباحث**:
المبحث الأول: التعريف بمصطلحات البحث.
المبحث الثاني: عوامل النهوض الحضاري المتعلقة ببناء الإنسان الصالح إنطلاقاً من الوحي إلى العصر في ضوء القرآن الكريم.
المبحث الثالث: عوامل النهوض الحضاري المتعلقة بامتلاك أسباب القوة وإزالة أسباب الضعف في ضوء القرآن الكريم.
المبحث الرابع: عوامل أخرى في النهوض الحضاري للأمة في ضوء القرآن الكريم
وتم تناول ذلك في عشرة مطالب.
وخاتمة تضمنت أهم النتائج والتوصيات ثم المصادر والمراجع، ومن أهم النتائج:
سنن الله التي ذكرها القرآن الكريم لا تتبدل فهي ثابتة ولا تحابي أحداً، أن سنن النهوض تتعلق بمجموع الأمة؛ فخطابات القرآن الكريم بصيغة الجمع مما يوجب الفعل الجمعي، وللنهوض الحضاري عوامل يقوم عليها تتعلق ببناء الانسان الصالح ومصدر التلقي وامتلاك أسباب القوة وإزالة أسباب الضعف ووضوح الرؤية وغيرها أشارت إليها آيات القرآن إذا توافرت مجتمعة وانتفت الموانع تحقق النهوض المنشود، تحقيق المسلمين للنهوض الحضاري من منطلق قرآني وإسهامهم في الحضارة فريضة شرعية وضرورة حياتية، والنهوض الحضاري المستند على القرآن الكريم لا يقوم على الأمنيات وإنما على العمل الجاد والمستمر.
الكلمات المفتاحية: سنن، الحضاري، النهوض، عوامل.

Factors of Civilized Advancement
Allah's Divine-Norms Based Study in Light of the Holy Koran

Abstract

The study aims to clarify the civilizational image of Islam by explaining the factors of civilized advancement and the divine-norms that the Qur'an guided us to in achieving that. Accordingly, the title of the research was "Factors of civilized Advancement: Allah's Divine-Norms-Based Study in Light of the Holy Koran" In addition, the research aims to draw the attention of Muslims in particular and people in general to the Qur'an and its noble verses, and its fixed norms related to advancement, civilization and change, and doing the effective reasons to achieve them in reality. The study is an attempt to contribute directly to adopting the paths of advancement as instructed by the Noble Qur'an. The analytical inductive approach is used due to its suitability for the research.

The research consisted of an introduction and four sections:

The first section: the definition of the study terms.

The second section: The factors of civilized advancement related to the building a good person starting directly from revelation to recent time in the light of the Noble Qur'an.

The third section: The factors of civilized advancement related to possessing the causes of power and elimination of the causes of weakness in light of the Noble Qur'an.

The fourth section: Other factors of the civilizational advancement of the nation in the light of the Noble Qur'an.

This was addressed in ten sub-sections.

The research ended with the conclusion that included the most important findings and recommendations, then the sources and references.

The most important findings are:

The divine-norms mentioned by the Noble Qur'an are not changing, they are fixed and do not favor anyone. The divine-norms of advancement concern the entire nation. That is why the summons in the Noble Qur'an came in the plural form that necessitate collective action. and civilized advancement is based on factors that are related to the building the righteous person, the source of receiving, the possessing the causes of strength and elimination of the causes of weakness, and clarity of vision, as indicated by the verses of the Qur'an. If these factors are all made available and the impediments stopped to exist, the desired advancement will be achieved. In addition, the achievement of civilizational advancement by the Muslims and their contribution to civilization is a legitimate and vital duty. The civilized advancement based on the Holy Qur'an is not based on wishes, but on serious and continuous work.

Key words: divine norms, civilizational, advancement, factors.

المقدمة:

إن الله سبحانه وتعالى وضع في هذا الكون سنناً إلهية ثابتة لا تتغير ولا تتبدل ولا تحابي أحداً، فجميع البشر أمامها سواء، فمن أخذ بها وصل إلى نتائجها، ومن تخلف عنها تركته وراء ظهرها، فهناك سنن للقوة والنهوض، وسنن للضعف والسقوط، وسنن للاستخلاف، وسنن للنصر والتمكين، وسنن للاجتماع البشري، وسنن للأسباب والمسببات، كما أن هناك سنناً كونية تحكم نظام الكون في ليله ونهاره، وظواهر الكون المختلفة في مجال الفلك، والكيمياء، والفيزياء، والطب، وغير ذلك من السنن الكونية.

والمتأمل في آيات القرآن الكريم يدرك بوضوح هذه السنن الإلهية التي تحكم الاستخلاف البشري، وعمارة الكون، والاجتماع البشري، منها على سبيل المثال، في مجال سنن التغيير يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]، وفي مجال زوال الحضارات وسنن النصر والهزيمة يقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ . ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [يونس:١٣-١٤]، ويقول عز وجل: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[آل عمران:١٦٠] ويقول جل شأنه: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾[الحج:٤٠]، ويقول جل وعز: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم:٤٧]، ويقول سبحانه: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾ [غافر:٥١]، ويقول ربنا تعالى: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [المجادلة:٢١]، وفي مجال سنن التمكين والاستخلاف يقول سبحانه: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [النور:٥٥]، وجرت سنة الله تعالى بأن من أعمل عقله وفكره ونظره في البحث عن السنن الكونية والالهية، وأحسن توظيفها والانتفاع بها، استطاع أن يكشف عن القوانين التي تحكم سير هذا الكون، والرقي البشري، وعمارة الحياة، وتجنب أسباب السقوط الحضاري، فقال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[آل عمران:١٩٠]، وقال سبحانه: ﴿ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ . أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾[الحج:٤٥ - ٤٦]، وقال الله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [العنكبوت:٢٠].

وسيكون الحديث في هذا البحث هو آيات القرآن الكريم، وأمثال هذه الآيات التي سبق ذكرها كثيرة ستأتي في ثنايا مباحث هذا البحث.

إن منطلقنا هو كلام الخالق العالم بما يصلح الإنسان والكون والحياة، ومهما أبدع الفكر البشري باكتشاف العديد من النظريات والأفكار سيبقى مديناً للقرآن الكريم لسبقه وإحكامه، ودقة منهجه وتنظيمه وتناسقه، وصدق الله القائل: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤] والقائل

سبحانه: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ [الاسراء: ١٧] والقائل جل وعز: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الرعد: ١١]، وقد قضت إرادة الله وجرت سنته، أن تترتب عملية التغيير على تصرفات البشر أنفسهم، ووفق سلوكياتهم النظرية والعملية في حياتهم، وأنه - سبحانه - لا يغير ما بقوم من حال أفضل إلى حال آخر أسوأ، حتى يغير القوم ما بأنفسهم من طاعة وصلاح وخير إلى معصية وشر وفساد والعكس.

إن منطلق النهوض الحضاري في الرؤية القرآنية يقوم على توفر إرادة التغيير ابتداءً من المنحنى النفسي، فإذا توافرت الإرادة والإدارة التواقة للنهوض ضمن سنن الله التي تحكم عملية النهوض وصلت الأمة إلى تحقيق وظيفة الاستخلاف والتمكين في الأرض.

وهذا الموضوع يحتاج بحثاً تحليلياً عميقاً؛ لما له من أثر على من يريد صعود سلم النهوض الحضاري، فالسنن الإلهية ثابتة ودقيقة لا تتبدل ولا تحابي أحداً، ولا تتعلق بالأماني وإنما بالعمل الجاد الواعي المخطط القائم على المعرفة الصحيحة، والرؤية الاستشرافية المستقبلية، مع الإفادة من تجارب الماضي وعبره ونجاحاته، وتجنب سلبياته وإخفاقاته، وفقه السنن الإلهية فريضة شرعية وضرورة حياتية.

إن على الانسان العاقل أن يضع نفسه في سياق الموقع التسخيري لما أودعه الله في الأنفس والآفاق، ومن الغبن والظلم ألا يرى العلاقة التسخيرية بين الإنسان والكون، والآفاق والمجتمع.

وهذا البحث محاولة من الباحث لتلمس عوامل النهوض الحضاري، لفتح طريق نحو دراسات أوسع وأعمق.

أهمية موضوع البحث:

تظهر أهمية الموضوع من خلال الآتي:

١- حاجة المجتمعات والدول للنهوض الحضاري الرشيد.

٢- ضرورة إيضاح الرؤية القرآنية لعوامل النهوض الحضاري.

٣- الاسهام الواعي في مسيرة التقدم البشري الحاصل اليوم فمن من لا يتقدم يتقادم.

٤- تصحيح الصورة المشوهة التي دأب أعداء الإسلام على إلصاقها بالإسلام.

٥- تحصين الأمة من خلال إبراز عوامل القوة وتفعيلها لتؤدي دورها في النهوض الحضاري.

مشكلة البحث:

إن شعور بعض المسلمين بالضعف نتيجة الغزو الفكري المعادي، والقول بأن سبب تخلف المسلمين هو تمسكهم بالإسلام، وأن المجتمعات الغربية لم تتقدم في سلم الحضارة المادية الا بعد تركها للدين، الذي كان يمثل عائقاً أمام العلم والعلماء، وصَاحَب هذه الصورة - الشبهة - وجود تخلف - تراجع حضاري - في كثير من مجالات الحياة المادية، وجهل منتشر في كثير من المجتمعات الإسلامية، وظهور الاستعمار على كثير من البلاد الإسلامية، وسعيه الدؤوب لنشر ثقافته وشبهاته ونمط حياته، وتشويه حقيقة الإسلام، ووأدِه كل محاولة نهوض جادة وحقيقية؛ كي تبقى الأمة في حالة ضعف ينهب خيراتها وثرواتها، ويتحكم في توجهاتها ورسم معالم مستقبلها؛ لتبقى الريادة العالمية في يده، وعلى الرغم من تحرر معظم الشعوب الإسلامية من الاستعمار الا أن ثقافته لا زالت مؤثرة على بعض أبناء المسلمين فكرياً وسلوكياً، ولتوضيح جانب من الصورة الصحيحة للرؤية الإسلامية لعوامل النهوض الحضاري إنطلاقاً من الوحي الإلهي، المصدر المتمثل في القرآن الكريم والسنة النبوية، وعليه، فقد أصبح العمل البحثي العلمي واجباً للإسهام في رسم الصورة الصحيحة للرؤية الإسلامية القرآنية للنهوض الحضاري في مختلف المجالات والجوانب وشؤون الإنسان في هذه الحياة، وإزالة ما علق بعقول البعض من صورة مشوهة؛ لذا

اخترت موضوع "عوامل النهوض الحضاري دراسة سننية في ضوء القرآن الكريم" عنواناً للبحث.

أسئلة البحث:

ما مفهوم النهوض الحضاري في ضوء القرآن الكريم؟
ما أبرز عوامل النهوض الحضاري؟
هل يمكن الاسهام الحضاري للمسلمين في الحضارة الإنسانية؟

أهداف البحث وأسباب اختياره:

يمكن تحديد أهداف البحث وأسباب اختياره في الآتي:

١- توضيح مفهوم النهوض الحضاري في ضوء القرآن الكريم.
٢- الاسهام في بيان عوامل النهوض الحضاري في القرآن الكريم.
٣- إبراز الصورة الحقيقية للإسلام ثقافة وحضارة وبناء.

منهج البحث:

يعد المنهج الاستقرائي التحليلي الأنسب لدراسة هذا البحث.

حدود البحث:

سيقتصر البحث على بيان عوامل النهوض الحضاري وتوضيحها في ضوء القرآن الكريم.

الدراسات السابقة:

أجريت العديد من الدراسات في المجال السنني، والحضارات، وصدرت العديد من الكتب، وعقدت العديد من المؤتمرات والندوات، ومنها ما يلي:

١- السنن الإلهية في الحياة الإنسانية وأثر الإيمان بها في العقيدة والسلوك، شريف الشيخ صالح أحمد الخطيب، رسالة دكتوراه، مقدمة إلى كلية الشريعة، جامعة أم القرى ١٤٠٧هـ.
٢- سنن القرآن في قيام الحضارات وسقوطها، محمد هيثور، رسالة ماجستير، مقدمة إلى كلية الآداب، جامعة عين شمس، منشورة، صادرة عن المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، ١٤٠٧هـ.
٣- سنن الله في المجتمع من خلال القرآن الكريم، محمد الصادق عرجون، المملكة العربية السعودية، ١٣٩٧هـ.
٤- أزمتنا الحضارية في ضوء سنة الله في الخلق، أحمد محمد كنعان، ١٤١١هـ.
٥- السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية، عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٤هـ.
٦- عوامل ازدهار الحضارات الإنسانية وانهيارها دراسة عقدية تحليلية على ضوء الكتاب والسنة، أسيد صبحي القطو، رسالة دكتوراه مقدمة إلى كلية أصول الدين جامعة أم درمان،١٤١٧هـ.
٧- حتى يغيروا ما بأنفسهم، جودت سعيد، مكتبة زيد بن ثابت دمشق ١٤٠٤هـ.
٨- السنن الإلهية في تغيير المجتمعات في ضوء القرآن الكريم جمعا ودراسة، أيمن بن نبيه بن غنام المغربي، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، ١٤٢٧هـ.
٩- السنن الإلهية في الأمم والأفراد في القرآن الكريم أصول وضوابط، مجدي محمد عاشور، دار السلام القاهرة، ١٤٢٧هـ.

الدراسات السابقة تناولت دراسة السنن الإلهية إما من ناحية عقدية وسلوكية كدراسة الخطيب والقطو، وإما من ناحية اجتماعية كدراسة المغربي وعرجون، وإما من حيث الأصول والضوابط كدراسة عاشور، وإما دراسات عامة كدراسة زيدان وجودت سعيد وكنعان، بينما هذه الدراسة

تتعلق بـ "عوامل النهوض الحضاري دراسة سننية في ضوء القرآن الكريم" تأتي امتدادا لتلك الدراسات وغيرها استكمالا لجانب مهم ومحدد.

خطة البحث:

تتكون خطة البحث من مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة ثم المصادر والمراجع.

المقدمة تشتمل على تمهيد وأهمية موضوع البحث، ومشكلة البحث وأسئلته، وأهدافه، وأسباب اختياره، ومنهج البحث فيه، والدراسات السابقة.

المبحث الأول: التعريف بمصطلحات البحث

المبحث الثاني: عوامل النهوض الحضاري المتعلقة ببناء الإنسان الصالح إنطلاقاً من الوحي إلى العصر في ضوء القرآن الكريم

المبحث الثالث: عوامل النهوض الحضاري المتعلقة بامتلاك أسباب القوة وإزالة أسباب الضعف في ضوء القرآن الكريم

المبحث الرابع: عوامل أخرى في النهوض الحضاري للأمة في ضوء القرآن الكريم

الخاتمة وتشتمل على نتائج البحث وتوصياته

المصادر والمراجع

المبحث الأول: التعريف بمصطلحات البحث

المطلب الأول: مفهوم العوامل

عوامل: بكسر الميم جمع العامل، وعَوَامِلُ الدابة: قوائمها، والعامل في النحو ما يقتضي أثراً، والعَامِلُ: الباعثُ أو المؤثِّرُ في الشيءِ، والعامل مسبب، باعث، قوة أو مادة تحدث تغييرا[1]، والعامل في علم النفس: كل مؤثر خارجي أو داخلي في مظهر من مظاهر الحياة مادة كان أو حدثا[2]، وعوامل النجاح هي كل الأشياءالتي يجب حدوثها كي يتحقق نجاح أي مشروع أو خطة أو رؤية؛ لكي تكون حافزا ودافعا لتحقيق المطلوب والتغلب على العوائق والمثبطات والشعور بالضعف أو العجز.

فإذا وجد العامل الدافع والمحفز الداعي للنهوض، ورافق ذلك العمل الجاد الواعي، كانت الأسس التي يقوم عليها النهوض الحضاري قد توافرت.

وعليه يمكن تعريف **عوامل النهوض** بأنها: جميع الأسباب والمؤثرات التي تقوم عليها حضارة ما ويعزى إليها قيام ونجاح واستمرار تلك الحضارة.

المطلب الثاني: مفهوم النهضة

لتوضيح المفهوم قال علماء اللغة "نَهَضَ يَنْهَضُ نَهْضاً ونُهوضاً، أي: قام. وأَنْهَضْتُهُ أنا فانْتَهَضَ، واسْتَنْهَضْتُهُ لأمر كذا، إذا أمرته بالنُهوضِ له، وتَناهَضَ القومُ في الحرب، إذا نَهَضَ كلُّ فريقٍ إلى صاحبه، والنُّهوضُ: البَراحُ من الموضع والقيامُ عنه، نهَضَ يَنْهَضُ نَهْضاً ونُهوضاً وأَنْهَضَه: حَرَّكه للنُّهوض واسْتَنْهَضْتُه لأمر كذا: إذا أمرته بالنُّهوض له .. والنَّهْضةُ: الطَّاقةُ والقوَّةُ، وناهضته أي قاومته، وأَنهضه بالشيء: قوَّاه على النُّهوضِ به ونهضِ النون والهاء والضاد أصلٌ يدلُّ على حركةٍ في عُلُو، ونَهَض من مكانه: قام، وما له ناهِضَةٌ، أي قومٌ ينهضون في أمره ويقومون به[3]، ومن معانيها:"قام يقظًا نشيطًا"[4]

١- ينظر: تهذيب اللغة: ٢/ ٢٥٦، لسان العرب، ابن منظور: ١١/ ٤٧٧، المعجم الوسيط مجمع اللغة العربية القاهرة: ٢/ ٦٢٨، معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عمر بمساعدة فريق عمل: ٢/ ١٥٥٥.

٢- معجم مصطلحات علم النفس، منير الخازن: ٥٠.

٣- ينظر: الصحاح في اللغة، الجوهري: ٢/ ٢٥٥ ، لسان العرب: ١٤/ ٣٠٧، تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي: ١٠ / ١٧٣، معجم مقاييس اللغة، ابن فارس: ٥ / ٥٦٣.

٤- العامي الفصيح من إصدارات مجمع اللغة العربية بالقاهرة ص: ١٥.

النهضة: "الطاقة والقوة، والوثبة في سبيل التقدم الاجتماعي أو غيره، ويقال: كان من فلان نهضة إلى كذا: حركةٌ وهو كثير النهضات، والنهَّاض: الدءوب على أن يسلك سبيل التقدم، والكثير النهوض، ويقال: مكان نهاض: مرتفع"[٥].

ويمكن **تعريف النهوض بأنه**: السعي الجاد لتفعيل الطاقات والقدرات، والعمل الدؤوب في سبيل التقدم بالأمة في كل مجالات الحياة، بامتلاك أسباب القوة، ومغادرة حالة الضعف، وتقديم الجديد النافع، مع الاستفادة من الماضي.

المطلب الثالث: مفهوم الحضارة

الحضارة الحاء والضاد والراء إيراد الشيء، وروده ومشاهدته، وقد يجيء ما يبعد عن هذا وإن كان الأصل واحدا، حضر: الحَضَرُ: خلافُ البَدْو، والحاضِرة خلاف البادية لأن أهل الحاضرة حَضَروا الأمصارَ والديار، ومصطلح حضاري اسم منسوب إلى الحضارة، وسكون الحضر الاستقرار، والحضارة أي: الإقامة في الحضر، وَالْمرَاد أهل الحضارة قال القطامي: فمَنْ تَكُنِ الحضارَةُ أعْجَبَتْهُ ... فأيُّ رِجالِ باديةٍ ترانا[٦].

وقد تعددت تعريفات الحضارة في الاصطلاح باختلاف منطلقات العلماء[٧]، والذي يهم هنا هو الحضارة الإسلامية.

الحضارة الإسلامية هي: مجموع ما قدمه المسلمون للبشرية من عقيدة وقيم ومبادئ، وثقافة وفكر، ونتاج مادي وتطبيقي وعمراني في مجالات الحياة المختلفة.

فالحضارة الإسلامية لها جناحان الأول: معنوي والثاني: مادي، وهو ما ميزها عن غيرها فهي حضارة تصل الأرض بالسماء، وتستمد منهجها ورسالتها من الوحي بشقيه الكتاب والسنة، وتعمل عقلها وجهدها مهتدية به، تقدم الحياة السعيدة، والكفاية والرفاه، والرقي والنماء المتوازن للبشرية، إذ عندما يحدث خلل فيهما أو في أحدهما يبدأ السقوط من سلم الحضارة.

المطلب الرابع: مفهوم السنن

السنن: جمع سنة، ومعناها: الطريقة والسيرة، والتوالي والتتابع والاطراد[٨].

والسنة هي: "العادة في الأشياء المتماثلة... ولفظ السنة يدل على التماثل فإنه سبحانه إذا حكم في الأمور المتماثلة بحكم فإن ذلك لا ينتقض ولا يتبدل ولا يتحول بل هو سبحانه لا يفوت بين المتماثلين وإذا وقع تغيير فذلك لعدم التماثل... وأنه سبحانه يسوي بين المتماثلين ويفرق بين المختلفين كما دل القرآن على هذا في مواضع[٩] كقوله تعالى: ﴿أَفَنَجۡعَلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ كَٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ [القلم: ٣٥] وقوله: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤۡمِنٗا كَمَن كَانَ فَاسِقٗاۚ لَّا يَسۡتَوُۥنَ﴾ [السجدة: ١٨]

٥- المعجم الوسيط : ٢/ ٩٥٩.

٦- ينظر: العين، الفراهيدي: ٣/ ١٠١، مقاييس اللغة: ٢/ ٧٥ - ٧٦ ، مجمل اللغة ابن فارس: ١/ ٢٤٠، ديوان القطامي ص: ٧٦ وصيغته: بأي أناس بادية ترانا، شرح ديوان الحماسة للتبريزي ص: ١٢٩.

٧- ينظر: موسوعة الحضارة الإسلامية، أحمد شلبي ص: ١/ ١٩ - ٢٦، الحضارة دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها، حسين مؤنس ص: ١٣، في رحاب الحضارة الإسلامية في العصور اوسطى، محمد مؤنس عوض ص: ١٣ - ١٤

٨- ينظر: الصحاح فى اللغة:١/ ٣٣٤ - ٣٣٥، معجم مقاييس اللغة: ٣/ ٦٠، لسان العرب: ٦/ ٣٩٩ - ٤٠١، تاج العروس من جواهر القاموس: ١٨/ ٣٠٠، أساس البلاغة، الزمخشري ص: ٢٢١ - ٢٢٢، القاموس المحيط، الفيروز آبادي: ٤ / ٢٣٧، مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني ص: ٤٢٩.

٩- جامع الرسائل ابن تيمية : ١ / ٥٥.

والسنن هي: "القانون العام الذي تجري بموجبه أحداث ووقائع البشر، أو هي الطريقة المتبعة في معاملة الله تعالى البشر بناء على سلوكهم وأفعالهم وموقفهم من شرع الله وأنبيائه، وما يترتب على ذلك من نتائج في الدنيا والآخرة"[١٠].

وذكر بعض العلماء تعريفات أخرى منها:

- سنة الله: شريعته وطريقته وما جرى من نظامه في خلقه[١١].
- مجموعة القوانين التي سنها الله عز وجل لهذا الوجود وأخضع لها مخلوقاته جميعا، على اختلاف أنواعها وأجناسها[١٢].
- النظم المتعلقة بتغيير أحوال الأمم وتبدلها تعلقا بما تفعله هذه الأمم من خير أو شر[١٣].

مما سبق يمكن **تعريف السنن بأنها**: قوانين الله تعالى المطردة الثابتة التي تجري بموجبها أحداث ووقائع الحياة البشرية، وتحكم حركة التاريخ، وتتحكم بالدورات الحضارية نهوضاً وسقوطاً، وترتبط فيها المقدمات بالنتائج بمقتضى عدل الله تعالى.

وقد ورد ذكر لفظ (سنة) و(سنن) (سننتا) في عشر سور من القرآن الكريم في ستة عشر موضعا[١٤] منها خمس سور مكية[١٥]، وست سور مدنية[١٦].

يتضح من خلال الآيات التي تم الإشارة إليها أن السنن الواردة فيها تتسم بالآتي:

١- شمولها للسور المكية والمدنية وفي ذلك دلالة على اهتمام القرآن الكريم بالوعي السنني وأهمية دراسته والنظر فيه.

٢- ربط الأسباب بمسبباتها.

٣- الثبات والاطراد وعدم التخلف أو التبدل والتحول.

٤- تتناول السنن الاجتماعية.

٥- الشمول لكل البشر ولا تحابي أحداً.

٦- ربانية السنن.

ويؤكد ضرورة العناية بها العلامة محمد رشيد رضا بقوله:"لم يُقَصِّرْ المُصنفون من المتقدمين والمتأخرين في شئ من علم الكتاب والسنة كما قصروا في بيان ما هدى إليه القرآن والحديث من سنن الله تعالى في الأمم! والجمع بين النصوص التي وردت في ذلك، والحث على الاعتبار بها، ولو عُنُوا بذلك بعض عنايتهم بفروع الأحكام، وقواعد الكلام لأفادوا الأمة بما يُحْفَظُ به دينُها ودنياها، ... فإن العلم بسنن الله تعالى في عباده لا يعلوه إلا العلم بالله تعالى وصفاته وأفعاله، بل هو منه، أو من طُرقه ووسائله"[١٧]، ومن المعلوم أن فقه السنن لا يأتي إلا من خلال دراستها وفهم تحولاتها، وإدراك قوانينها الثابتة، والوعي بكيفية توظيفها في جلب المصالح ودرء المفاسد أي حل المشكلات.

ولم يرد ذكر مصطلح النهوض في القرآن الكريم بلفظه وإنما ورد ذكر مصطلحات متقاربة معه في المعنى والمدلول ومنها:

١٠- السنن الالهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الاسلامية، د عبد الكريم زيدان ص: ١٣ - ١٥.
١١- معجم الألفاظ والأعلام القرآنية، محمد اسماعيل إبراهيم ص: ٢٨١.
١٢- أزمتنا الحضارية في ضوء سنة الله في الخلق، أحمد محمد كنعان ص: ٥٢
١٣- سنة الله في عقاب الأمم في القرآن الكريم، عبد السلام بن نصر الله الشريف: ١٣.
١٤- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي: ٤٦٦.
١٥- وهي: الحجر:١٣، الاسراء: ٧٧، الكهف: ٥٥، فاطر: ٤٣، غافر: ٨٥.
١٦- وهي: آل عمران: ١٣٧، النساء: ٢٦، الانفال: ٣٨، الأحزاب: ٣٨ و٦٢، الفتح: ٢٣.
١٧- تفسير المنار - تفسير القرآن الحكيم، محمد رشيد بن علي رضا: ٧ / ٤١٦. وينظر: سر تأخر العرب والمسلمين، محمد الغزالي ص: ١٠.

أ- **الاستخلاف** قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠] ﴿إِنِّي جاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ "أَيْ: قَوْمًا يَخْلُفُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا قَرْنًا بَعْدَ قَرْنٍ وَجِيلًا بَعْدَ جيل[١٨] كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ١٦٥] وقال:﴿ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ﴾ [النمل: ٦٢] وَقَالَ:﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِي ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ﴾[الزخرف: ٦] فقد حدد النص القرآني مهمة الإنسان بأنه "سيتولى قيادة هذا الكوكب، ويكون خليفة الله فيه"[١٩] والاستخلاف يعطي دلالة واضحة على أن المهمة هي التعمير مادياً ومعنوياً "فما قام الإنسان خليفة لله على هذه الأرض، إلا ليعمرها، ويفتح مغالقها، ويستخرج الطيب الكريم منها"[٢٠].

وقد "ظهرت آثار الإنسان في هذه الخلافة على الأرض، ونحن نشاهد عجائب صنعه في المعدن والنبات، وفي البر والبحر والهواء، فهو يتفنن ويبتدع ويكتشف ويخترع ويجد ويعمل، حتى غير شكل الأرض فجعل الحزن سهلاً، والماحل خصباً، والخراب عمراناً، والبراري بحاراً أو خلجاناً، ... أليس من حكمة الله الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى، أن جعل الإنسان بهذه المواهب خليفته في الأرض، يقيم سننه، ويظهر عجائب صنعه، وأسرار خليقته، وبدائع حكمه، ومنافع أحكامه"[٢١]. وقد أعطى الله الإنسان القدرة للإنسان؛ لإبراز مشيئته في الخلق والابداع، والتحليل والتركيب، وكشف ما في هذه الأرض من قوى وطاقات وكنوز، وتوظيفها في عمارة الكون، قال تعالى:﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [الانعام: ١٦٥] لتحقيق وعد الله في قوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [النور:٥٥].

والاستخلاف في الأرض أراده الله لعباده الصالحين؛ لأن الاستخلاف قائم على تعمير الأرض ونشر الخير فيها، واستخراج ما أودعه الله فيها، ولن يتحقق ذلك إلا بالإيمان الحق، والعمل الصالح، والسير في الأرض على وفق شرع الله ومنهاجه، لكي تتحقق السعادة الحقيقة للإنسان باطناً وظاهراً، وليس الجانب المادي منها فقط.

إن إنسان النهضة هو القائم بالدور الريادي في عملية الاستخلاف، وهذا يتطلب مسؤلية جماعية توظف جميع إمكانات الأمة وطاقاتها، أفراداً ومجتمعات ودولاً.

ب- **التسخير** قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ﴾ [لقمان: ٢٠]، وقال جل وعلا: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِيَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ . وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الجاثية:١٢ –١٣].

فمن مظاهر التسخير الإلهي للكون أن أتاح الله للناس الانتفاع به فى كل وجه من وجوه الانتفاع، حسب استعدادهم وقدرتهم على التصرف فيه، ففى السماء النجوم، والكواكب، وهى مسخرة بأمر الله سبحانه وتعالى، وللناس مع هذا أن ينتفعوا بكل ما أمكنهم الانتفاع به منها، فإذا كشف لهم العلم عن إمكان اختزان الطاقة الحرارية للشمس، واستخدام هذه الطاقة فى إدارة المحركات، وغيرها، فذلك مما سخر الله للناس، ويسر لهم الانتفاع به، وهو فى كل ما يمكن أن

١٨- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير: ١ / ١٢٤.
١٩- التفسير القرآني للقرآن،عبد الكريم الخطيب : ١ / ٤٩.
٢٠- التفسير القرآني للقرآن : ٤ / ١١.
٢١- نفسير المنار: ١ / ٢١٧.

يحصل عليه الإنسان من عالم السماء، وفى الأرض ما لا يحصى من قوى الطبيعة المختزنة فيها، والتي جعل الله مفاتحها فى يد الإنسان، بما يكشف له العلم من أسرار، فهذا البناء الشامخ للمدنية، وما تزخر به الحياة فى هذا العصر من ألوان لا حصر لها، هو مما أودعه الله سبحانه وتعالى فى هذه الأرض، وهو ما استطاع الإنسان أن يوظفه[٢٢].

ج- الاعمار قال تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هود:٦١][٢٣] "أي: وجعلكم عمارا فيها"[٢٤] وعليه "فكل حركة في الحياة تؤدي إلى عمارة الأرض فهي من العبادة"[٢٥]، وقد مكن الله لقوم صالح، وأعطاهم من أدوات العمارة للأرض، ومقومات الحياة فقد بين الله تعالى على لسان نبي الله صالح عليه السلام النعم المتعددة على قومه مما يستوجب عبادت الله وحده فقال: ﴿ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: ٧٤] وخلافة الإنسان على الأرض تقتضي أن يعمرها، ويوظف جميع الطاقات والمواهب المتعددة، والجهود المتساندة للقيام بهذه المهمة.

د- التمكين قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [الأعراف:١٠] "الخطاب لجميع الناس، والمراد أن النوع بجملته ممكن في الأرض، والمعايش جمع معيشة وهي لفظة تعم المأكول الذي يعاش به والتحرف الذي يؤدي إليه"[٢٦]، فقد هيأ الله الأرض للإنسان المستخلف فيها، ومهدها، وسخرها، وجعلها مذللة، ومستقراً إلى حين؛ كي يبني عليها الإنسان الحضارة كما يبني المالك في ملكه، بناءً وحرثاً وسائر وجوه الانتفاع، وزودها بكل ما يحتاجه في معاشه من مائها ونباتها وأشجارها وثمارها، وحيواناتها، وجمادها، وتجارتها ومعادنها، وصنائعها المختلفة، وتلك منة من الله تعالى على الإنسان، كي يشكر ربه المنعم المتفضل، ولا يفتتن بها فينحرف عن جادة الصواب ويستجيب لشهواته، ولكي يقوم بمهمة الإعمار لها وإصلاحها، فأعطاه القدرة والعقل وحسن التدبير والقيادة قال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُواْ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا . إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا﴾ [الكهف: ٨٣ - ٨٤] وهي إشارة إلى أهمية القيادة في النهوض الحضاري، التي يجب أن تكون على مستوى عال من التمكن في الصفات القيادية، وتمتلك القدرة على توجيه المجتمع نحو تحقيق الأهداف الاستراتيجية، فلقد مكن الله للإنسان في الأرض، ويسر له أسباب البناء والعمران، وكل ما من شأنه القيام بمقتضيات التمكين فقال: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ [الحج:٤١]، فكل من أراد أن يكون من جيل التمكين فعليه التمثل بما حددته آيات القرآن الكريم، والسنة النبوية، وما مثله جيل الصحابة والتابعين وتابعيهم، من عقيدة صافية من كدر الشرك والشبهات، وعبادة صحيحة متبعة لا مبتدعة، وعمل يتمثل الأوامر في

٢٢- ينظر:التفسير القرآني للقرآن: ١٣/ ٢٣١.
٢٣- استعمل الاستعمار في عصرنا بمعنى استيلاء الدول القوية على بلاد المستضعفين واستثمارها واستعباد أهلها لمصالحهم" تفسير المنار: ١٢/ ١٠١.
٢٤- تفسير المنار: ١٢/ ١٠١.
٢٥- تفسير الشعراوي: ٢/ ١٠٨٩.
٢٦- المحرر الوجيز: ٢/ ٣٧٧.

الكتاب والسنة ويجتنب النواهي، وخلق قويم يتفرد به بين البشر، يدعو إلى ربه بِفِعَالِه قبل أقواله، وهي الدعوة الصامتة من خلال القدوة المؤثرة.

هـ- التغيير قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾ [الرعد: ١١] إرادة الله مطلقة شاملة، وجميع الارادات تستمد عملها من إرادة الله سبحانه، "وفى تعليق تغيير أحوال الناس بتغيّر ما بأنفسهم، إشارة إلى أن النفس الإنسانية هى جهاز التفكير، والتقدير، ومركز الإرادة والتوجيه، وأنها هى السلطان الآمر للإنسان، والموجّه لكل أعماله وأقواله، فإذا غيّرت النفس اتجاه مسيرها، تغيّر تبعا لذلك سير الإنسان فى الحياة"[٢٧] وهي سنة عامة تنطبق على جميع البشر بدلالة تنكير كلمة قوم، وهي أيضا جماعية يقول محمد سيد طنطاوي: "إن الله – تعالى - قد اقتضت سنته، أنه - سبحانه - لا يغير ما بقوم من نعمة وعافية وخير بضده، حتى يغيروا ما بأنفسهم من طاعة إلى معصية، ومن جميل إلى قبيح، ومن صلاح إلى فساد"[٢٨].

إن التغيير الحضاري يبدأ من داخل النفس الإنسانية إيماناً صادقاً بالله تعالى وبسائر أركان الايمان، الذي يترك آثاره على الحياة كلها في صورة عمل صالح، ومسلك مستقيم، وإخلاص تام، وتسابق في تقديم الخير للناس وكف الشر عنهم، ووسطية في الشهود الحضاري على البشر، وعلماً يُعَرِّفُ الانسان بربه، وبوظيفته في الحياة، ومركزه في الوجود، ويدفعه إلى البناء والتعمير والعطاء، والتجديد والتطوير والابداع، والعكس بالعكس، وصدق الله القائل: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾ [الأنفال: ٥٣].

و- الإصلاح قال تعالى: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨]، إن الإصلاح العام للحياة والمجتمع ينعكس أثر القيام به بالخير على كل فرد وجماعة فيه، قال: ﴿فَلَوۡلَا كَانَ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مِن قَبۡلِكُمۡ أُوْلُواْ بَقِيَّةٖ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡفَسَادِ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّنۡ أَنجَيۡنَا مِنۡهُمۡۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتۡرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجۡرِمِينَ . وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٖ وَأَهۡلُهَا مُصۡلِحُونَ﴾ [هود: ١١٦ – ١١٧].

ز- المداولة قال تعالى: ﴿إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٞ فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ قَرۡحٞ مِّثۡلُهُۥۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمۡ شُهَدَآءَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٠] فالمداولة سنة إلهية تحكم سير الأمم والدول والمجتمعات، فمن كان في القمة يوماً ما قد ينحدر ويسقط، ومن كان في المنحدر قد ينهض ويصعد نحو القمة، وكل ذلك مرتبط بمدى التغيير الداخلي صعوداً وهبوطاً، والقرآن الكريم عندما يذكر القصص إنما هي نماذج حية للتجارب البشرية فـ"القرآن يجيء بمعطياته التاريخية تلك من أجل أن يحرك الانسان صوب الأهداف التي رسمها الإسلام، ويبعده - في الوقت ذاته - فردا وجماعة، عن المزالق والمنعرجات التي أودت بعشرات بل مئات من الأمم والجماعات والشعوب"[٢٩]، لكي يحدث وعياً لدى المسلم بأن يختار طريق الصعود والنهوض، ولكي يذهب عنه اليأس والإحباط، فالعودة إلى الريادة والقيادة سنة وعلى من أراد ذلك سلوك السبل الموصلة إليها، والابتعاد عن المزالق التي تبعده عن موقع الريادة والقيادة، واستخلاص

٢٧- التفسير القرآني للقرآن: ٧ / ٨٢.
٢٨- التفسير الوسيط: ٧ / ٤٥٠، وينظر: فتح القدير: ٣ / ٨٤، التفسير الحديث، محمد عزت دروزة :٥ / ٥٢٥ - ٥٢٦، أضواء القرآن في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي: ٢ / ٢٣٦ - ٢٣٧.
٢٩- التفسير الإسلامي للتاريخ، عماد الدين خليل ص: ٨.

قوانين النهوض الحضاري الجاد والعمل بها في صورة خطط واستراتيجات ومشروعات للنهوض، والابتعاد عن التجارب الخاطئة توفيراً للجهد والوقت.
وهذه المعاني وثيقة الصلة بمفهوم النهوض ومتطلباته، ومن خلالها سيتم تحديد نقاط البحث.

المبحث الثاني: عوامل النهوض الحضاري المتعلقة ببناء الإنسان الصالح إنطلاقاً من الوحي إلى العصر في ضوء القرآن الكريم

المطلب الأول: بناء الإنسان الصالح

جرت سنة الله تعالى أن الإنسان هو هدف الحضارات ووسيلتها، وأن بناء الإنسان هو المنطلق الرئيس في تحقيق أي نهوض منشود، ويعد شرطاً لإحداث التغيير المطلوب فـ "الإنسان هو هدف الحضارة ووسيلتها، وهو محل الثقة وحاملها، لذلك لا يتخيل وجود حضارة لا تركز على الإنسان: اهتماماً بواقعه، وتحسيناً لأحواله الصحية والتعليمية والمعيشية، وحلاً لمشكلاته واحتراماً لحقوقه الأساسية حتى ينشط للحركة ويتطلع للريادة، إن المعيار الذي يمكن أن تقاس به الحضارات هو موقع الإنسان فيها، وتصورها عنه، وطبيعة القيم التي يلتزم بها ومدى احترامها لإنسانيته ومقوماته"[٣٠].

إن أساس بناء الإنسان الصالح يتم بتربيته على الإيمان الصادق المؤثر، والعقيدة الصحيحة الفاعلة الموجهة، والعمل الصالح الذي يستوعب الحياة بكل جوانبها؛ لتحقيق مقتضى العبودية لله تعالى، وقد حدد القرآن الكريم هذا الأمر بوضوح في قول الله تعالى:﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ . وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ [النور:٥٥ ـ ٥٦] فأشارت الآيتان إلى شروط من يستحق النهوض والتمكين وهي: الإيمان بمعناه الشامل ومقتضياته، وممارسة العمل الصالح بكل صوره، والحرص الدائم على كل أنواع الخير والبر، وتحقيق العبودية الشاملة، ومحاربة كل صور الشرك، ومن لوازم استمرار التمكين: إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وطاعة الرسول ﷺ، فإذا تحقق الإنسان بهذه الشروط تحققت فيه صفة الصلاح التي بها يستحق وراثة الأرض، بعد استكمال حقيقة الإيمان التي بها يتحقق وعد الله.

وعليه فحقيقة الإيمان التي يتحقق بها وعد الله، تستغرق أوجه النشاط الإنساني كله، وتوجهه كله، فحين تستقر في قلب العبد تعلن عن نفسها في صورة عمل صالح، نشاط وبناء وعمران، وسلوك على وفق منهج الله ابتغاء وجهه، فلا يستبقي شيئاً في الحياة الا ويتوجه به إلى الله: ﴿ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗا﴾.

إن الإنسان الصالح هو عنصر الارتكاز في أي عملية نهوض حضاري؛ لذا كان أول أهداف التربية في الإسلام بناء الإنسان الصالح الموحد، ومن أجله أرسل الله الرسل وأنزل الكتب؛ لكي يسير في الحياة على بصيرة من أمره، يرتكز على عقيدة راسخة، تقوم على الحجة والبرهان، وترفض التقليد الأعمى، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا﴾ [الاسراء: ٣٦]

٣٠- سنن الله في الحضارات عصام أحمد البشير، متاح على الشبكة العنكبوتية.

فالمسلم إيجابي جاد، يسعى للبناء المادي والمعنوي، لأن الإيجابية حياة، ويقابلها السلبية التي تعني الموت المعنوي، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ ﴾ [الأنفال: ٢٤] والايجابية فطرة في جميع المخلوقات حتى في الطيور[٣١]، وما صنيع الهدهد من قطع المسافات الطوال؛ لإخبار سليمان عليه السلام بقصة سبأ وعبادتهم لغير الله، سوى مبادرة إيجابية، أثمرت في إنقاذ سبأ وإسلامهم، قال الله تعالى مخلداً هذا الحدث ﴿ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيۡرَ فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلۡهُدۡهُدَ أَمۡ كَانَ مِنَ ٱلۡغَآئِبِينَ . لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابٗا شَدِيدًا أَوۡ لَأَاْذۡبَحَنَّهُۥٓ أَوۡ لَيَأۡتِيَنِّي بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ . فَمَكَثَ غَيۡرَ بَعِيدٖ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ وَجِئۡتُكَ مِن سَبَإِۭ بِنَبَإٖ يَقِينٍ . إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ . وَجَدتُّهَا وَقَوۡمَهَا يَسۡجُدُونَ لِلشَّمۡسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمۡ لَا يَهۡتَدُونَ . أَلَّا يَسۡجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِي يُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُخۡفُونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ . ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾ [النمل: ٢٠ - ٢٦] وكانت النتيجة ما سجله القرآن: ﴿قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي وَأَسۡلَمۡتُ مَعَ سُلَيۡمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[النمل: ٤٤] فيتعلم الإنسان الصالح من هذه القصة أن يكون إيجابياً منتجاً.

والمتأمل في القرآن يجد نماذج كثيرة للإنسان الصالح الإيجابي منها على سبيل المثال:

أولاً: مؤمن آل فرعون

الرجل المؤمن من آل فرعون الذي كان يكتم إيمانه، يمثل أنموذجاً جلياً للإنسان الصالح الإيجابي قال تعالى: ﴿ وَقَالَ رَجُلٞ مُّؤۡمِنٞ مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَكۡتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقۡتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدۡ جَآءَكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمۡۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبٗا فَعَلَيۡهِ كَذِبُهُۥۖ وَإِن يَكُ صَادِقٗا يُصِبۡكُم بَعۡضُ ٱلَّذِي يَعِدُكُمۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ كَذَّابٞ ﴾ [غافر: ٢٨]. فقد دفعه إيمانه وإيجابيته لإعلان هذا الموقف العظيم دفاعاً عن نبي الله عليه الصلاة والسلام، ونصحاً لقومه، على الرغم من المخاطر التي يمكن أن تعرض له.

وهذا موقف إيجابي آخر قال الله عنه: ﴿ وَجَآءَ رَجُلٞ مِّنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلۡمَلَأَ يَأۡتَمِرُونَ بِكَ لِيَقۡتُلُوكَ فَٱخۡرُجۡ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾ [القصص: ٢٠] ويظهر أنه مؤمن آل فرعون الذي كان يكتم إيمانه.

ثانياً: مؤمن آل ياسين

يمثل مؤمن آل ياسين أنموذجاً إيجابياً آخر خلد الله ذكره فقال: ﴿ وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ رَجُلٞ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ . ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا وَهُم مُّهۡتَدُونَ . وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾ [يس: ٢٠ - ٢٢] "ووصف الرجل بالسعي يفيد أنه جاء مسرعاً، وأنه بلغه همُّ أهل المدينة برجم الرسل أو تعذيبهم، فأراد أن ينصحهم خشية عليهم وعلى الرسل، وهذا ثناء على هذا الرجل يفيد أنه ممن يقتدى به في الإسراع إلى تغيير المنكر"[٣٢].

٣١- ينظر: الإسلام والتحدي الحضاري، حمدي والي ص: ١٠٢.
٣٢- التحرير والتنوير، ابن عاشور: ٢٢ / ٣٦٦.

وفي قوله: ﴿ يَسۡعَىٰ ﴾ تبصرة للمؤمنين وهداية لهم، ليكونوا في النصح باذلين جهدهم[٣٣] ودلالة "التعبير بقوله: يسعى: يدل على صفاء نفسه، وسلامة قلبه، وعلو همته، ومضاء عزيمته، حيث أسرع بالحضور إلى الرسل وإلى قومه، ليعلن أمام الجميع كلمة الحق، ولم يرتض أن يقبع فى بيته - كما يفعل الكثيرون - بل هرول نحو قومه، ليقوم بواجبه فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر"[٣٤].

ثالثا: العبد الصالح مع نبي الله موسى عليه السلام

فهذا العبد الصالح الذي شد موسى عليه السلام إليه الرحال ليتعلم منه، ذكر القرآن من صفاته: العبودية، والرحمة، والعلم، كما بين الله ذلك بقوله: ﴿ فَوَجَدَا عَبۡدٗا مِّنۡ عِبَادِنَآ ءَاتَيۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا ﴾ [الكهف: ٦٥] كان عبداً موحداً لله، متفوقاً علمياً، يبني ولا يهدم، ويصلح ولا يفسد، ويحفظ ولا يضيع، حافظ على السفينة من المصادرة، ودفع المفاسد وقدم المصالح، وبادر إلى بناء الجدار للغلامين اليتيمين لكي يحفظ لهما مالهما.

فالأنبياء عليهم السلام كانوا قدوة الناس الصالحين في المبادرة والإيجابية، قال الله تعالى مبيناً سبقهم ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾[الأنبياء: ٩٠]، وكان من دعائهم أن يكونوا من الصالحين فيقول سبحانه عن نبي الله لوط عليه السلام: ﴿ وَأَدۡخَلۡنَٰهُ فِي رَحۡمَتِنَآۖ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [الأنبياء: ٧٥] وقال عن نوح وداود وسليمان وأيوب وإسماعيل وإدريس وذا الكفل عليهم السلام: ﴿ وَأَدۡخَلۡنَٰهُمۡ فِي رَحۡمَتِنَآۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٦] وقال عن سليمان عليه السلام: ﴿ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكٗا مِّن قَوۡلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [النمل: ١٩]، وقال عن يونس عليه السلام: ﴿فَٱجۡتَبَىٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [القلم: ٥٠]، وكان من دعائهم: ﴿ رَبِّ هَبۡ لِي حُكۡمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [الصافات: ١٠٠] وقال عن المؤمنين: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدۡخِلَنَّهُمۡ فِي ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [العنكبوت:٩] وكان أيضاً مِن طلب من آمن من أهل الكتاب: ﴿وَنَطۡمَعُ أَن يُدۡخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [المائدة: ٨٤] وهو ما يتمنى الإنسان عند الموت التأخير حتى يكون من أهل الصلاح، قال تعالى: ﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [المنافقون: ١٠].

إن التربية في الإسلام تسعى لإعداد الإنسان الصالح في عقيدته وسلوكه، الذي يصلح ولا يفسد، ويبني ولا يهدم، وينفع ولا يضر، النافع لنفسه ومجتمعه، الإنسان الذي يعيش إنسانيته بكل عمقها ونبلها، المصلح ذو البناء التربوي المتكامل، المستقل في تفكيره، المحقق لهدف وغاية وجوده، المتمثل في تحقيق العبودية لله عزوجل، والقيام بمهمة الاستخلاف في الأرض، وليس المواطن الصالح فقط كما في التربية الوضعية، فإنسان النهوض الحضاري في التصور الإسلامي: رباني في مصدره ووجهته، ومنهجه ومسلكه، عامل مؤثر، مفكر رشيد، جريئ في الحق والابتكار والابداع والتطوير، منتج يأبى السلبية والبطالة والخمول، وهي مهمة عظيمة لبناء إنسان مؤمن عابد، يدعو إلى الخير ولا يفتر، قوي لا يضعف، يعمل ويبني بروح الجماعة، يسلك في

٣٣- ينظر: مفاتيح الغيب، الرازي: ٢٦ / ٢٦٣.
٣٤- التفسير الوسيط: ١ / ٣٥٣١.

الحياة بتوازن واعتدال، يتطلع إلى المستقبل ولا يُغْفِل امتداده الحضاري، يبدع ويبتكر، يتقدم ولا يتقادم، يتحمل مسؤولياته بجدارة، يَسْعَد ويُسْعِد، يحقق المصالح ويدرء المفاسد ويقللها.

وهذا يتطلب إيجاد بيئة صالحة لتربية وإعداد الأجيال والقادة الربانيين، القادرين على تحمل المسؤوليات، والتقدم بالأمة نحو صروح المجد والعز.

المطلب الثاني: الانطلاق من الوحي إلى العصر

إن المنهج الذي استطاع بناء أمة فريدة سادت الأرض بقيم العدل والحرية، لا تعرف التمييز بين الناس بسبب لون أو جنس أو لغة، يستطيع اليوم وبكل جدارة أن يعيد للأمة مجدها وعزها، ويزيل التشوهات التي لحقت بالفكر الإسلامي.

إن منطلق النهوض الحضاري للأمة الإسلامية هو الوحي، فالوحي بشقيه القرآن والسنة إنما جاء ليبني أمةً وينشئ حضارة ونهضة، صنع من رعاة الغنم قادة أمم، ومن الشتات أمة ذات بأس وقوة، ومن الجهلة علماء ومخترعون مبدعون، فأول ما خاطب القرآن النبي ﷺ بقوله تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١].

لقد كان الناس قبل ظهور الإسلام قلوبهم مواتاً، وأرواحهم ظلاماً، ولما جاء الإسلام غرس الإيمان في أرواح من أسلم منهم فأحياها، وأشرقت أرواحهم بالنور فنشروه في الأرض، هداية للضال، وأمناً للخائف، وتحريراً للمستعبد، وطمأنينة للحائر، فكان ميلاداً جديداً للبشرية، حقق لها السعادة والحياة الطيبة، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [الشورى:٥٢] الوحي حياة، فالإيمان حياة، والكفر والضلال موت، قال تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَاۚ﴾ [الانعام: ١٢٢].

ومعلوم أن منهج القرآن في غرس الإيمان كان سهلاً ميسوراً لا غموض فيه ولا تعقيد، كما حصل فيما بعد من جدل وفلسفات أضعفت صفو الإيمان، ولقد انطلق المسلمون مفيدين من كل ما أنتجه الفكر الإسلامي برشد ووعي، ومما أنتجه النشاط الإنساني في جوانب الحضارة، وفق رؤية واضحة تجعل من الوحي أساساً للنهوض الحضاري، قبل أن أتت عليه تعقيدات الجدل والفلسفة التي أضعفت صفو الإيمان وشوهت وعي الإنسان.

الانطلاق من الوحي يمكن الأمة من الشهود الحضاري:

ولتقوم الأمة بمهمة الشهود الحضاري وتسهم في بناء الحضارة الإنسانية المنشودة، يجب عليها أن توظف قواها المذخورة، وطاقاتها الكامنة، وقواها الخفية، وتواكب روح التطور الحاصل اليوم في العالم، وتترك الواقع المتخلف وسلبيات الماضي، تتصل بالوحي بلا هوى، ولا تأثير للخرافات، تتجهة نحو الريادة ممتثلة قول الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗا﴾ [البقرة: ١٤٣]؛ لأن الله سبحانه اختار هذه الأمة لتصحيح مسار البشرية فقال سبحانه: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ﴾ [آل عمران: ١١٠].

إن التعبير بكلمة «أُخْرِجَتْ» المبني لغير الفاعل، يدل على أن هناك من أخرج هذه الأمة وهو الله تعالى، وهذا يعني أنها أمة ذات دور خاص: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ أخرجت لتكون في مقدمة الأمم، ولتكون لها الخيرية والقيادة؛ بما تملكه من مقومات من العقيدة الصافية النقية، والعبادة

الصحيحة، والخلق القويم، والعلم الشامل، والتصور الواضح للكون والإنسان والحياة، والقدرة على صيانة الحياة من الشر والفساد، وحتى تتحقق الريادة في حاضرنا ومستقبلنا لا بد من العودة إلى ينابيع الإسلام الصافية، وفهمه فهماً صحيحاً متكاملاً، خالياً من الحشو والشوائب، بعيداً عن فهوم عصور التخلف وسلبيتها، ونبذ الجمود والتقليد، والعصبية المذهبية والسلالية والمناطقية، وقد حذر أئمة الفقه جميعهم رحمهم الله تعالى من التقليد بصيغ متعددة منها ما قاله الإمام أحمد رحمه الله: "لا تقلدني ولا تقلد مالكاً ولا الثوري ولا الأوزاعي، وخذ من حيث أخذوا"[٣٥].

ولقد أقام الرسول عليه الصلاة والسلام مجتمعاً حضارياً فريداً أعاد من خلاله صياغة الانسان عقيدة وفكراً وأخلاقاً، ومسلكاً وعلاقات وتعاملاً، وإبداعاً وابتكاراً، وتماسكا، وترابطا، وتعاونا، وقوة ورحمة، وعدالة وفاعلية وتعايشاً، وبناءً حضارياً، وسرعة في التغيير، وتأسيساً لدولة الإسلام الأولى بقيادة رسول الله الخاتم عليه الصلاة والسلام.

كما قدم المسلمون في كل عصر ما يناسب العصر الذي يعيشون فيه، وتركوا لنا تراثاً يعد أحد مصادر الاعتزاز، ولكن لا يصح أن يصبح مانعاً من النظر في النص الذي من خلاله نهل الأوائل فنهل منه كما نهلوا؛ لنعيد للمسيرة الإسلامية صفاءها ونقاءها، وإن حال الأمة اليوم لا يخفى على ذي عينين من التنازع والفشل، والضعف والتخلف والفقر، وهو ما عبر عنه محمد الغزالي بقوله: "إن ما ترون في شؤوننا ليس ما أنزل الله من كتاب، ولا ما قدم رسوله من أسوة، إن ما ترون هو عوج أمة نسيت ما لديها ومضت مع هواها"[٣٦]. فالعودة إلى الى الينابيع الصافية مما يسرع من عملية النهوض، ويقلل من العقبات التي تعترضه.

المبحث الثالث: عوامل النهوض الحضاري المتعلقة بامتلاك أسباب القوة وإزالة أسباب الضعف في ضوء القرآن الكريم

المطلب الأول: امتلاك أسباب القوة

إن امتلاك أسباب القوة بمفهومها الشامل من أهم عوامل النهوض الحضاري ومن ذلك:

أولاً: إعمال سنن الاجتماع البشري

لقد سجل القرآن الكريم والسنة النبوية كثيرا من سنن الاجتماع البشري التي يجب على الأمة الأخذ بها وإعمالها في واقع الحياة، فأصل البشر واحد، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ ﴾ [النساء: ١] وإن تعدد أجناسهم وشعوبهم ولغاتهم للتعرف لا التعالي، وإن ميزان التفاضل بين الناس هو التقوى والعمل الصالح قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾ [الحجرات: ١٣] فلا يسخر شعب من شعب، ولا جماعة من أخرى، ولا فرد من آخر.

إن المسلمين أمة واحدة قال تعالى: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ ﴾ [المؤمنون: ٥٢]، وعلى الأمة أن تجمع كلمتها وتوحد صفها إنطلاقاً من قوله تعالى: ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾

٣٥- إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية: ٢ / ١٣٩.
٣٦- سر تأخر العرب والمسلمين: ٤.

[آل عمران: ١٠٣] والتغلب على أسباب الفرقة كي يبقى الصف قوياً ومتماسكاً، قال تعالى: ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْۖ وَٱصْبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٤٦].

ثانياً: إنشاء وتفعيل المراكز البحثية العلمية

إن أمة رفع الله شأن أبنائها بالعلم فقال عزوجل: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [المجادلة: ١١] وبين أنه لا يستوي من يعلم مع من لايعلم فقال جل شأنه: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[الزمر: ٩]، وجعل أول خطاب بالوحي بـ﴿ٱقْرَأْ﴾[العلق: ١] وقدم العلم على العمل فقال: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ [محمد: ١٩] لجدير بها أن تتلقى الأوامر والتوجيهات في القرآن الكريم والسنة النبوية للعمل والتنفيذ.

إن النهوض الحضاري الجاد يطلب عملاً علمياً متكاملاً، يتناول جميع مجالات الحياة، عملاً بالمنهج القرآني الذي حث على ذلك، ففي مجال البحث العلمي والسنني يقول تعالى: ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٧] ويقول جل وعلا: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ . قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأَخِرَةَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [العنكبوت: ١٩ - ٢٠] ويقول عزوجل: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَاۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنبياء: ٣٠] وغير ذلك من الآيات.

"إن الزعامة في ميدان العلم والعمل اليوم لا ريب مكفولة لمن يتقدم بالدنيا إلى الأمام لا لمن يجذبها إلى الوراء، فإذا كان الإسلام يريد أن يعود إلى مكانته من سيادة العالم فلا سبيل إليه إلا أن ينبغ في المسلمين رجال من أصحاب الفكر والتحقيق ... ثم يمارسون مشاهدة الآثار والفحص عن الحقائق على هدى الأسلوب القرآني للفكر والنظر"[٣٧].

إن الاهتمام بالمؤسسات التعليمية كافة من أول السلم التعليمي، وتضافر الجهود من الفرد والأسرة والمجتمع والدولة؛ لكي تؤدي رسالتها ودورها الريادي في النهوض الحضاري، والتقدم في سلم صناعة المعرفة، وبناء إنسان النهوض الحضاري للوصول إلى الشهود الحضاري، فريضة شرعية وضرورة حياتية.

فالمجتمعات الراشدة تركز اهتمامها بعالم المعرفة، وتسهم بفاعلية في انتاج المعرفة وامتلاك ناصيتها؛ كي تصل إلى الرشد العلمي، ومغادرة حالة التخلف العلمي، وهذا يفرض على الأمة إنشاء وتفعيل مراكز الأبحاث العلمية التخصصية، وتوفير الكفاءات العلمية المبدعة اللازمة للقيام بالدراسات العلمية الاستراتيجية، وفق أدق معايير البحث العلمي، وتوفير المال اللازم، والبيئة الملائمة، وإزالة جميع العوائق، وتشكيل مجموعات بحثية مشتركة وتكاملية، والإفادة من العلماء المتخصصين - العقول المهاجرة - في مختلف دول العالم، وإعداد خارطة بحثية وفق الأولويات البحثية التنموية والأثر المجتمعي والقيمي، بما ينعكس أثره على الاسهام في النهوض الحضاري، والبحث عن آلية فاعلة للتنسيق بين العلماء الباحثين في جميع المراكز البحثية، والتنسيق مع الشركات الصناعية والإنتاجية والتقنية، وحسن توظيف التقانة في مجالات البحث العلمي، وتحويل نتائج تلك البحوث

٣٧- نحن والحضارة الغربية، أبو الأعلى المودودي، ص: ٢٦.

إلى خطط واستراتيجيات وبرامج عملية، تتبناها الدول والمجتمعات، والمؤسسات والشركات في كل مجالات الحياة.

ثالثا: استثمار خيرات الأرض وحسن توظيفها من خلال إعمال سنن التسخير

خلق الله عزوجل الإنسان وجعله خليفة في الأرض، وسخر له مافيها وما عليها، وأوكل إليه مهمة عمارة الأرض واستثمار خيراتها، فقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٩] يقول الامام الشوكاني: "قال ابن كيسان: خلق لكم أي من أجلكم، وفيه دليل على أن الأصل في الأشياء المخلوقة الإباحة حتى يقوم دليل يدل على النقل عن هذا الأصل"[٣٨]، وقال عز من قائل: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هود: ٦١]، وقال سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ﴾ [لقمان: ٢٠].

خلق الله الأرض وأودعها من الطاقات والامكانات على ظهرها وفي باطنها ما يجعل الانسان سيداً عليها، كاشفاً عما أودعه الله فيها، ومنتفعاً به، ومستدلاً بها على قدرة الخالق ووحدانيته، ومستعيناً بها على طاعته، فإذا لم يحسن هذا ويطلق الطاقات في الأنفس والأرض والكون من حوله، فإنه يعد بذلك عاصياً لله، معطلاً لسننه، ولقد مكن الله تعالى الإنسان من أسباب الحياة والنهوض والسيادة على هذه الأرض في ظل عبودية لله خالصة، وشكر لنعمه، والتزام بمنهجه القويم.

فالواجب على المسلمين أن يكونوا سباقين إلى استغلال هذه المنافع والخيرات وإحسان توظيفها، قال الله سبحانه: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ . وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ . وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٢ - ٣٤].

ولن يتم ذلك إلامن خلال اكتشاف سنن التسخير وإعمالها في الواقع، فالأرض تزخر بكثير من الخيرات في مجال المعادن والطاقة، والزراعة، والثروة الحيوانية، والثروة البحرية، والثروة المتعلقة بجمال الكون للسير والنظر، والثروة البشرية، وغير ذلك.

رابعاً: حسن توظيف الإمكانات وتنسيق الجهود وتكاملها

لا يتم حسن توظيف الإمكانات وتنسيق الجهود وتكاملها إلا من خلال توظيف سنن التدبير، بحيث نتقن فن العلاقة مع خالقنا، ومع الكون من حولنا، ومع الإنسان المتفق والمغاير، وقد ضرب لنا القرآن الكريم مثلاً حياً في سورة الكهف من خلال قصة ذي القرنين وكيف وظف طاقات الأمة، واستخدم العلم في خدمة البشرية، فأنجز عملاً عظيماً خلد الله ذكره إلى قيام الساعة فقال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا . قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا . قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا . ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ ۖ

٣٨- فتح القدير: ١ / ٧١.

حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا. فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا﴾ [الكهف: ٩٣ - ٩٧] فهو قائد "جمع بين الإيمان والعمل الصالح، والقوة الفائقة، وتسخير القوى والطاقات المهيأة للإنسان، واستخدم الوسائل الموجودة في عصره، فاستخدم كل ذلك ... في صالح الإنسان، وفي خدمة البشرية"[٣٩].

وتقتضي سنن التدبير حسن التخطيط الاستراتيجي، وإدارة الموارد لكل مجال من مجالات الحياة، وقد سجل القرآن الكريم صورة ناصعة من حياة يوسف عليه السلام في رسم الخطط، وحسن التدبير لمواجهة الأزمة الاقتصادية التي حدثت في عهده فقال تعالى مبينا ذلك: ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ. ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ [يوسف: ٤٧ - ٥٠]، فأرشدهم إلى حسن التدبير والتموين والادخار في سنوات الرخاء، بجد ودأب بلا انقطاع، بطريقة علمية للحفظ؛ لمواجهة سنوات الجدب والقحط، ثم فتح لهم باب الأمل والانفراج بعد الشدة[٤٠] يقول القرطبي رحمه الله: "هذه الآية أصل في القول بالمصالح الشرعية التي هي حفظ الأديان والنفوس والعقول والأنساب والأموال، فكل ما تضمن تحصيل شي من هذه الأمور فهو مصلحة، وكل ما يفوت شيئا منها فهو مفسدة، ودفعه مصلحة، ولا خلاف أن مقصود الشرائع إرشاد الناس إلى مصالحهم الدنيوية"[٤١].

وهذا مما يؤكد وجوب وجود القيادة الراشدة، يقول ابن تيمية رحمه الله "يجب أن يعرف أن ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين بل لا قيام للدين ولا للدنيا إلا بها، فإن بني آدم لا تتم مصلحتهم إلا بالاجتماع لحاجة بعضهم إلى بعض، ولا بد لهم عند الاجتماع من رأس"[٤٢] فالقائد بمنزلة القلب من بدن الإنسان فإذا صلح صلح البدن، وتفعيل وتحريك طاقات وإمكانات المجتمع نحو الأهداف الكبرى يحتاج إلى امتلاك المؤهلات القيادية من العلم والقوة والأمانة، وإتقان التخطيط، وحسن التدبير والتفعيل، ودقة التنظيم والمتابعة، وتفقد أحوال المجتمع والجند، والقدرة على إعداد القوة الرادعة لكل متربص أو طامع، وامتلاك الشجاعة والحكمة، والمهارة في اكتشاف الطاقات والقدرات وتوظيفها، وتعبئة الموارد الطبيعية، وفهماً للدين وحراسته وسياسة الدنيا به، وحرصاً على صلاح أحوال الناس واستقامتها، وتحقيق المصالح ودرء المفاسد عنها، يقول ابن تيمية رحمه الله "وإن انفرد السلطان عن الدين، أو الدين عن السلطان فسدت أحوال الناس"[٤٣]، ورفع الهمم ودفع الوهن، ورفع شأن العلم والعلماء، والابداع والتطوير، والمهارة في تنظيم العلاقات الدولية، وقدرة على تحقيق النهوض الحضاري للأمة بجميع متطلباته.

فالأمة تمتلك إمكانات مادية وبشرية كبيرة، تتطلب حسن التوظيف لها، وتكامل الجهود بين دول العالم الإسلامي؛ لتحقيق النهوض المنشود.

٣٩- دراسات قرآنية، أبو الحسن الندوي، ص: ٢٠٨.
٤٠- ينظر التحرير والتنوير: ١٢/ ٢٨٦، التفسير الواضح: ١٨١/٢.
٤١- الجامع لأحكام القرآن: ٩/ ٢٠٣.
٤٢- السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، ص: ١٢٩.
٤٣- السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية: ١٣٢.

خامساً: ممارسة الحرية لإطلاق الطاقات والقدرات الكامنة في الأمة

الحرية ضد العبودية والظلم، وقد خلق الله الانسان حرا كريما وزوده بالعقل، ولديه القدرة على الاختيار بين الخير والشر والهدى والضلال، ويتحمل تبعة اختياره قال الله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا. إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الانسان:٢ - ٣] وقد بين محمد الطاهر بن عاشور مفهوم الحرية بأنها: استواءَ أفراد الأمة في تصرّفهم في أنفسهم، وتطلق الحرية في نظره على معنيين:

أولها: ما يضاد العبودية، وهذا من أهم المقاصد التي دل عليها الاستقراء إبطال العبوديّة وتعميم الحرية.

ثانيها: أن يتصرّف الشخص العاقل في شؤونه بالأصالة، تصرّفاً غير متوقّف على رضا أحد آخر، وتطلق مجازاً على تمكّن الشخص من التصرّف في نفسه وشؤونه كما يشاء دون معارض.

ولا شك أن معنيي الحرية المزدوج مراد للشارع: وذلك لنشأتها على الفطرة، ولكونها تقتضي المساواة، وهي من مقاصد الشريعة الأساسية، وباستقراء نصوص الشريعة ندرك مدى تشوُّف الشريعة إلى الحرية وحرصها على بثها بين الناس، فالحرية من مقاصد الإسلام[٤٤]، وبين محمد الخضر حسين مفهومها بقوله: "أن تعيش الأمة عيشة راضية، تحت ظل ثابت من الأمن، على قرار مكين من الاطمئنان"[٤٥] وهي حق للفرد والمجتمع، والمجتمعات اليوم تفاخر بمدى حرية الانسان فيها مع اختلاف بينهم في مفهوم الحرية فمنهم من يرى أنها تعني الانفلات من كل ضابط كما في المفهوم الغربي لها حتى لو أضر بغيره.

وعليه يمكن **تعريف الحرية بأنها**: قدرة الإنسان على التصرف والاختيار واجتلاب الحقوق وأداء الواجبات بأمان في كل ما من شأنه أن يحقق مصلحة حقيقية له ولكل من حوله في العاجل أو الآجل أو فيهما معا دون إضرار بالآخرين.

إن ماتملكه الأمة من طاقات وقدرات تحتاج إلى تحويل قيمة الحرية إلى سلوك عملي؛ كي تنهض الأمة بجميع أبنائها، وفضاء الحرية المكفولة في هذا الدين كفيلة بإطلاق طاقات الإبداع والابتكار والتنافس، بحيث لاتبقى طاقة معطلة، فتتوجه نحو الكشف والتطوير، وتسخيرهما في تجارب الحياة، والدفع بها في مسار النهوض الحضاري.

فهذا نبي الله سليمان عليه السلام في جو حر يصغي لرأي الهدهد ويعلن فتح باب التنافس في الأسرع إتياناً بعرش ملكة سبأ، وأحسن توظيف القدرات قال تعالى: ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ . لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَا۟ذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ . فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾ [النمل: ٢٠ - ٢٢] ولإطلاق القدرات وتفعيل الطاقات فتح باب التنافس لإحضار عرش ملكة سبأ، وهذا شأن القيادة الراشدة، قال الله تعالى: ﴿قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ . قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ . قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ﴾ [النمل:٣٨ - ٤٠].

٤٤- مقاصد الشريعة الإسلامية: ١٣٠/٢ بتصرف.

٤٥- الحرية في الإسلام: ١٦.

وقد مثل رسول الله ﷺ النموذج العملي الذي أطلق للأمة الحرية لتبدي رأيها في أخطر القضايا، كما فعل قبل خروجه إلى معركة بدر من طلب المشورة بقوله: "أشيروا علي أيها الناس"[٤٦] فتقدم الحباب بن المنذر بأدب جم إلى القيادة قائلا: "يارسول الله أرأيت هذا المنزل أمنزلا أنزلكه الله ليس لنا أن نقدمه ولا نتأخر عنه أم هو الرأي والحرب والمكيدة ؟ قال: بل هو الرأي والحرب والمكيدة، فقال يا رسول الله: فإن هذا ليس بمنزل فانهض بالناس حتى نأتي أدنى ماء من القوم فننزله ثم تغور ما وراءه من القُلُب، ثم نبني عليه حوضا فنملؤه ماء ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون، فقال رسول الله ﷺ: لقد أشرت بالرأي. فنهض رسول الله ﷺ ومن معه من الناس فسار حتى إذا أتى أدنى ماء من القوم نزل عليه"[٤٧].

فلم يضق رسول الله ﷺ برأي الحباب، وإنما أثنى عليه دعما وتشجيعا للاستفادة من خبرة الخبراء، وتجارب المجربين.

فكم من طاقات في الأمة معطلة بسبب الاستبداد ومصادرة الحريات، فالحرية ليست شعاراً يرفع أو دعوى تدعى، بل هي ممارسة حياتية وفق ضوابط الشرع، تفجر الطاقات والإبداع لكل فرد في الأمة؛ بحيث توظف جميع الطاقات لتحقيق نهوض شامل.

سادساً: القدرة الدفاعية للأمة.

لا قوة للأمة بدون قدرة دفاعية شاملة إنطلاقاً من قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٦٠] والقوة المطلوبة شاملة لكل صور القوة: عقدية، وعلمية، وأخلاقية، واقتصادية، وقوة الساعد والسلاح، وقوة الوحدة والتلاحم، لتحقيق الردع ﴿تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ معناه: "أعدوا لهم ما استطعتم من القوة الحربية الشاملة لجميع عتاد القتال وما يحتاج إليه الجند، ومن الفرسان المرابطين في ثغوركم وأطراف بلادكم حالة كونكم ترهبون بهذا الإعداد - أو المستطاع من القوة والرباط - عدو الله الكافرين به، وبما أنزله على رسوله، وعدوكم الذين يتربصون بكم الدوائر ويناجزونكم الحرب عند الإمكان... وهذا عين ما يسمى في عرف دول هذه الأيام بالسلام المسلح، بناء على أن الضعف يغري الأقوياء بالتعدي على الضعفاء"[٤٨] ومعلوم أنه "لَا قُوةَ إِلَّا بِالعلْمِ وَالمَالِ"[٤٩] فلا بد من بناء قوة دفاعية قادرة على ردع كل من يسعى لتهديد إنجازات الأمة، وتوفير الأمن والاستقرار، لتنطلق في ظله عملية البناء الشامل، والنهوض المتوازن، وحماية المنجزات في حدود استطاعة الأمة.

المطلب الثاني: إزالة أسباب الضعف

لا يمكن أن يتحقق النهوض الحضاري المنشود دون إزالة أسباب الضعف التي حذر منها القرآن الكريم والتي من أبرزها:

٤٦- السيرة النبوية، ابن هشام: ٣ / ١٦٢.
٤٧- السيرة النبوية: ٣ / ١٦٧ - ١٦٨.
٤٨- المصدر نفسه: ١٠ / ٥٥ و٥٧، وينظر: مفاتيح الغيب: ١٥/ ٤٩٩، والتفسير القرآني للقرآن: ٥ / ٦٤٩ و١٣/ ٣٨٤، التفسير الوسيط: ٦ / ١٤١ وما بعدها.
٤٩- تفسير المنار: ٤ / ٩٩.

أولاً: الفرقة والاختلاف

الفرقة والاختلاف سبب رئيس من أسباب الضعف التي منيت به الأمة، فتحولت قوتها إلى ضعف، ووحدتها إلى فرقة، واجتماع كلمتها إلى شتات، وهذا مخالف للتوجيه الرباني في قوله تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾ [آل عمران: ١٠٣] وقوله: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٤٦] وحذر الله تعالى من ذلك فقال: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [آل عمران: ١٠٥] "ولا قوة مع الخلاف والنزاع والتفرق والانقسام"[٥٠].

ولا تتحقق النهضة المنشودة في ظل فرقة وتنازع؛ "فإن الاختلاف والتنازع مدعاة الفشل، وهو الخيبة والنكول عن إمضاء الأمر، وأكثر أسبابه الضعف والجبن... فإن كل واحد من المتنازعين في الأمر يميل إلى غير ما يميل إليه الآخر، وهذا أظهر هنا "[٥١].

فعن أبي الدرداء، قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة»، قالوا: بلى، قال: «صلاح ذات البين، فإن فساد ذات البين هي الحالقة»: «هذا حديث حسن صحيح» ويروى عن النبي ﷺ أنه قال: «هي الحالقة لا أقول تحلق الشعر، ولكن تحلق الدين»[٥٢].

وقد ذكر الرازي أن التنازع يوجب أمرين: أحدهما: أنه يوجب حصول الفشل والضعف.

والثاني: ذهاب الريح[٥٣].

فالتنازع "مهدر للطاقات، ومقوّض لبنية الجماعات، وسبيل لإذهاب الحماسة، وتبديد القوة، والعصف بوجود الدولة، وإزالة روح الإقبال والإقدام، فلقد هلكت الأمم باختلافها وكثرة آرائها واعتراضاتها"[٥٤] وينبغي أن يعلم أن سبب الاختلاف هو الهوى والتعصب والجهل، الهوى الذي يجعل كل صاحب وجهة نظر يصر عليها مهما تبين له وجه الحق، ويجب على قادة الأمة وعقلائها الالتقاء على كلمة سواء حتى تتمكن الأمة من النهوض بقوة.

ومن الحكم المأثورة لأب ينصح أبناءه قائلا لهم:

كونوا جميعا يا بني إذا اعترى خطب ولا تتفرقوا آحادا

تأبى الرماح إذا اجتمعن تكسرا وإذا افترقن تكسرت أفرادا[٥٥]

ثانياً: الجهل والتخلف العلمي والتربوي

إذا كان العلم هو المحرك الأساس في تطور وتقدم المجتمعات فإن الجهل عدو الحضارة، ولا داء أعظم منه، وهو آفة الأفراد والمجتمعات والأمم، وهو من أخطر الآفات على الأمة الإسلامية، فهو يؤدي الى اندراس معالم الشريعة، وظهور البدع، وشيوع الفرقة والخرافة، والجهل بقواعد جلب المصالح ودرء المفاسد، والجهل بما يسع

٥٠- تفسير المنار: ٢/ ٢٢٠.
٥١- تفسير المنار: ١٠/ ٢٣.
٥٢- الجامع الصحيح (سنن الترمذي) أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ، رقم ٢٥٠٩: ٤/ ٦٦٣. وقال الألباني: صحيح.
٥٣- ينظر: مفاتيح الغيب: ١٥/ ٤٨٩، التحرير والتنوير، ابن عاشور: ٩/ ١٢١.
٥٤- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة الزحيلي: ١٠/ ٢٥.
٥٥- مجمع الحكم والأمثال، أحمد قبش ص: ٥٤٢، ونسبه لمعن بن زائدة.